دور الرحلات الإسلامية فى نشر الكتب

دراسة تاريخية

د. منصور سعيد محمد

مدرس بكلية الآداب – جامعة أسيوط

Mansour_lib86@yahoo.com

مستخلص الدراسة:

تناول الباحث في هذه الدراسة - باستخدام المنهج الوصفي التحليلي - دور الرحلات الإسلامية في نشر الكتب من القرن الثالث وحتى القرن العاشر الهجريين، وتكونت الدراسة من مقدمة ومبحثين، تناول في المقدمة منهجية الدراسة، وركز في مبحثها الأول على تاريخ الرحلات الإسلامية وأهميتها وأسبابها وأنواعها والجانب العلمي فيها، والهتم في مبحثها الثاني بدور الرحلات ووسائلها في نشر الكتب وأبرز أماكن النشر، وقد توصل إلى أن الرحلات كانت عنصراً أساسياً وفعالاً في نشر الكتب من الكتب بين المسلمين عن طريق الحمل والنسخ أو الإهداء أو الوقف على طلبة العلم والمكتبات، وأن العلاقة بين الرحلات والمكتبات كانت علاقة تبادلية، حيث كانت المكتبات بالنسبة للرحلات بمثابة دور للنشر، وكانت الرحلات بالنسبة للمكتبات إحدى مصادر تزويدها بالمقتنيات.

٠/٠- تمهيد:

كانت الرحلات ولاتزال من أهم الأنشطة التي مارسها المسلمون لدورها الواضح والملموس في مسيرة التأريخ للحضارة الإسلامية عامة، ومعرفة أصول الكثير من علومها خاصة، لأن المسلمين حرصوا فيها على تدوين كل ما يشاهدونه بصدق وأمانة، كما استثمروها في مجالات عدة، كان من بينها استخدامها في نشر الكتب، وخير ما يؤكد هذا انفراد إنتاجها الفكري بمعلومات كثيرة عن نفيس المصنفات التي اطلعوا عليها، أو قاموا بتأليفها، أو قاموا بحملها ووقفها على المكتبات، ولكن إذا كانت الرحلات الإسلامية قد حظيت باهتمام الكثير من الباحثين، إلا أنها لم تحظى باهتمام أقرانهم في علم المكتبات والمعلومات وبخاصة في معرفة دورها في نشر الكتب.

الاتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات، مج ١٦، ع ٣٥ (يناير ٢٠١١)، ص ١٨٥ –٢٠٦.

١/٠- أهمية الموضوع ومبررات اختياره :

مثلت الحضارة الإسلامية في جانبيها العلمي والثقافي ثورة على العادات والتقاليد التسفهية التي كانت مرتبطة عند العرب قبل ظهور الإسلام بالنظام القبلي، ولكن بعد ظهوره تحولوا إلى النظام المؤسسي، واتجهوا نحو التدوين والتوثيق، مما جعل الكتاب والمكتبة علامتين أساسيتين من علامات هذه الحضارة.

فبالنسبة للكتاب فقد اعتنى المسلمون بكل جوانبه ومتعلقاته، بما فيها عنصر النشر، حيث تدخلت الدول الإسلامية آنذاك في نشر الكتب الداعمة لتوجهاتها والخادمة لأغراضها، ولكن بالإضافة إلى هذه الجهود الرسمية، كان للجهود الشخصية عن طريق الرحلات دور هام في ذلك أيضا. لأنها تدخلت بشكل قوي وفعال في نشر الكتب ورواجها في جميع أرجاء العالم الإسلامي، بسبب حرص المسلمون بكافة فئاتهم على تزويد المكتبات بواسطة الرحالة بنسخ من مختلف الكتب، وبخاصة كتب الفقه والشروح والحواشي والتصوف.

كما أجج مفهوم وقف الكتب - باعتباره وسيلة أساسية من وسائل نشرها - رغبة الرحّالة المسلمين في حمل نسخ من كتبهم وكتب مواطنيهم ووقفها على المكتبات وبخاصة مكتبات الحرمين الشريفين بهدف تحقيق غاية التفاعل والانفتاح على قراء محتملين من مختلف البلاد الإسلامية، وقد تحقق جانب كبير من هذا الهدف؛ إذ انتشرت الكتب انتشاراً واسعاً، وشمل مساحات جغرافية واسعة من البلاد الإسلامية، وتلقاها عدد كبير من الأفراد بالقراءة والشرح والتعليق والتفسير. وفتحت باب التأثير والتأثر، وتجاوزت الكتب الإسلامية الحدود الزمنية، وعبرت بواسطة الرحلات إلى العصر الحالي، وضمن لها توزيعها عبر المكتبات تحدي عاديات الزمان وتدخلات الإنسان.

كما تحقق جانب آخر من هذا الهدف تمثل في أن المكتبات حظيت بجزء كبير من الكتب التي تم توقيعها في الغرب الإسلامي، لأن الرحّالة كانوا يحملون هدايا لمكتبات الحرمين الشريفين وغيرها تتألف من مصاحف وكتب[١]، لأن زيارة المكتبات كانت تمثل جزءاً من مسار الرحلة الثقافي والعلمي الموازي لمسارها الجغرافي، كما اهتم الرحّالة بالحركة العلمية في المشرق والتعريف بعلمائه، ووصف مراكزها ومكتباتها، ومع هذا لم يكن الاهتمام بالكتب والمكتبات حكراً على رحالة عصر معين، ولكنها كانت قاعدة شملت كل عصر وطبعت كل جيل في الحضارة الإسلامية، مما جعل للرحلات دور كبير في نشر الكتب بين المسلمين، سواء عبر النسخ والشراء، أو عبر الإهداء، أو عبر الوقف، وكان لها الفضل أيضا في حفظ الكثير من مقتطفات الكتب التي لم يبق لها ذكر أو أثر، كما كان من مبررات الدراسة ما يلي:

١- ندرة الإنتاج الفكري عن دور الرحلات الإسلامية في نشر الكتب.

٢- كان للعديد من الرحلات دور فعال في نشر الكتب بين المسلمين.

٣- وضوح الصبغة العلمية في معظم الرحلات الإسلامية لعلاقتها المباشرة بالكتب والمكتبات

من جهة، واهتمام الرحالة بالعلم وطلبه من جهة أخرى.

٤- كانت الرحلات بمثابة وسام علمي يُزيد من مكانة الرحّال ويميزه عن غيره.

٢/٠- تساؤلات الدراسة:

توجد عدة تساؤلات يحاول الباحث الإجابة عليها خلال هذه وهي:

١- ما تاريخ الرحلات الإسلامية وأهميتها وأنواعها وأسبابها؟.

٢- ما مدى وضوح الصبغة العلمية في الرحلات الإسلامية؟.

٣- ما وسائل الرحلات الإسلامية في نشر الكتب بين المسلمين؟.

٤- ما علاقة الرحلات بالمكتبات في نشر الكتب بين المسلمين؟.

٣/٠- أهداف الدراسة:

يهدف الباحث في ضوء ما سبق من تساؤلات إلى ما يلي:

١- معرفة تاريخ الرحلات الإسلامية وأهميتها وأسبابها وأنواعها.

٢- الوقوف على الجانب العلمي في الرحلات الإسلامية.

٣- توضيح وسائل الرحلات في نشر الكتب بين المسلمين.

٤- إظهار علاقة الرحلات بالمكتبات في نشر الكتب بين المسلمين.

٤/٠- حدود الدراسة:

١/٤/٠- الحدود الموضوعية:

وركز الباحث فيها على معرفة دور الرحلات في نشر الكتب بين المسلمين.

٢/٤/٠- الحدود الزمنية:

قصر الباحث الدراسة على الفترة من القرن الثالث وحتى القرن العاشر الهجريين، لأن هذه الفترة شهدت أهم الرحلات الإسلامية.

٣/٤/٠- الحدود المكانية:

ركز الباحث على البلاد العربية التي مر عليها الرحالة المسلمون وتحديدا مكة والمدينة المنورة، لأنهما كانتا قبلة جميع المسلمين.

٥/٠- منهج الدراسة وأدواته:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي بالاطلاع على العديد من المصادر التاريخية، وبخاصة كتب الرحلات، للبحث فيها عن نصوص تتعلق بدور الرحلات في نشر الكتب، ثم قام بتجميعها، وفحصها، والتعليق عليها للخروج بصورة واضحة عنها، كما كان هناك تواجد لبعض المراجع الحديثة، التي عالجت الرحلات وكتبها.

٦/٠- مصطلحات الدراسة:

١/٦/٠- الرحلة:

يرجع الأصل اللغوي لكلمة رحلة إلى مادة رحل وتعني الارتحال، وقد فرق اللغويون بين راء

الرحلة المكسورة والمضمومة، فعنوا بالحالة الأولى الانتقال والارتحال، وأرادوا بالثانية الوجهة التي يقصدها المسافر، وتوسعوا في معانيها لتشمل الهجرة ومذكرة السفر، كما أطلقوها لقبا لتشريف الفضلاء والعلماء[٢]، ورأوا فيها مجمعا لعدة فنون محكومة بالنسيج السردي المطبوع ببراعة الانتقال بين المحاور التي تضمنها التأليف، حيث برهن الرحالة عن مواكبتهم لحركة التدوين والظروف التاريخية التي عاصروها أو قاموا بأسفارهم حلالها[٣].

٢/٦/٠- النشر:

وهو العمليات التي تبدأ بالحصول على المحتوى الفكري من المؤلف وتنتهي بإتاحة العمل للجمهور[٤]، كما يعرف أيضا بأنه إتاحة أحد سجلات المعرفة للاطلاع الجماهيري على شكل مطبوع[٥]، أو هو العمليات التي يمر بها الكتاب من صورته المخطوطة حتى يصل إلى يد القارئ[٦].

٧/٠- أدب الموضوع:

بالرغم من ندرة الإنتاج الفكري العربي في موضوع الدراسة الحالية، إلا أن هذا لا يمنع من وجود بعض الدراسات التي أشارت إلى بعض جوانبه منها:

١- دراسة **بنعيسى بويوزان** بعنوان "**فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين**"[٧]، وكان هدفه معرفة دور رحلات الحجاج المغاربة والأندلسيين في نقل العلم إلى الغرب الإسلامي من خلال ثمان رحلات، وما نقله هؤلاء الرحّالة من علوم وكتب، التي ساعدت كثيراً على إغناء المكتبة المغربية والأندلسية بالكتب الشرقية.

٢- دراسة **حسن الوراكلي** بعنوان "**أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين**"[٨]، وتعرض فيها لمختلف أنواع الأحباس التي أوقفها الرحّالة المغاربة على الحرمين الشريفين، وكان من أهمها التحبيس على المجال العلمي وتحبيس المصاحف والكتب على المكتبات، تلك الأحباس التي كان ينقلها الرحّالة المغاربة لنشرها بين المسلمين.

٣- دراسة **عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع** بعنوان "**ملامح الرحلة العلمية اليمانية إلى مكة المكرمة في القرون الخمسة الهجرية الأولى**"[٩] وهدف فيها إلى معرفة الأسباب العلمية التي دفعت اليمنيين للترحال إلى مكة، وقد عرض فيها للكتب التي تناولها الرحّالة اليمنيون، وكذلك الكتب التي نقلوها إلى اليمن.

٤- دراسة **عبد السلام بن المختار شقور** بعنوان "**المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية**"[١٠]، وعرض فيها المناظرات والإنشادات التي كانت تزخر بها كتب الرحلات، بهدف إثراء الناحية الأدبية والعلمية، وكانت تعتمد تلك المناظرات والإنشادات على العديد من الكتب التي جاء ذكرها في كتب الرحلات.

٥- دراسة **عبد العزيز بن راشد السنيدي** بعنوان **"المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠-٦٦٠هـ/١١٧٤-١٢٦٠م)"**[١١]، وبالرغم من تركيزه فيها على المجاورين للمسجد الحرام، ولكن كان هؤلاء المجاورين في الأصل رحالة، حمل بعضهم كتباً من بلادهم وأوقفوها على مكتبات المسجد الحرام.

٦- دراسة **عواطف محمد يوسف** بعنوان **"الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية مقارنة"**[١٢]، وركزت فيها على معرفة تاريخ الحجاز من كتب الرحلات في القرنين السابع والثامن الهجريين، وكان من بين ما تناولته الحركة التعليمية في الحجاز ووصف مراكز العلم ومدارسه وكبار العلماء وأشهر العلوم والكتب التي ذكرها كتب الرحلات.

المبحث الأول
تاريخ الرحلات الإسلامية وأهميتها وأسبابها وأنواعها

١/١- تاريخ الرحلات الإسلامية:

مارس العرب الرحلات قبل ظهور الإسلام لأغراض تجارية، ولكن بعد ظهوره فقد مارسوها لأغراض جديدة كالهجرة بالدين، أو الحج، أو طلب العلم[١٣]، كرحلة الإسراء والمعراج، ورحلة أبي ذر الغفاري لفهم تعاليم الإسلام[١٤]، ورحلة مصعب بن عمير إلى المدينة مع وفد من العقبة ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام[١٥]، ولم تنقطع رحلات الإسلامية عقب وفات الرسول صلى الله علية وسلم، وبخاصة رحلات مراجعة الأحاديث النبوية خشية نسيانها وحفاظاً عليها وضبطها كرحلة جابر بن عبد الله لعبد الله بن أنيس، ورحلة أبي أيوب لعقبة بن عامر[١٦]، وكانت مثل هذه الرحلات تشهد مناظرات وامتحانات، مثلما حدث مع الإمام البخاري في بغداد، حينما اجتمع العلماء لامتحان علمه، فعمدوا إلى مائة حديث، وقلبوا متونها وأسانيدها، ودفعوها لعشرة أشخاص لإلقائها عليه، وبعد إلقاء كل شخص بما عُهد إليه، أعاد البخاري تصحيحها كما سمعها، فأقر له الناس بالعلم[١٧]، وقد تعددت رحلات البخاري سواء لطلب الحديث أو للحج، فكان أولها عام ٢١٠هـ/٨٢٥م، ودخل الشام ومصر والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات، وأقام بالحجاز ستة أعوام، ولا يحصي كم مرة دخل الكوفة وبغداد مع المحدثين[١٨].

وإذا كانت قد تنوعت رحلات تلك الفترة، لكن لم يتم تدوين معظمها، وأن ما عُرف منها كان عن طريق أصدقاء الرحَّالة، ومع هذا شكلت مادة علمية غزيرة، استفاد منها أوائل المؤرخون في كتاباتهم[١٩]، ومع توسع الخلافة الإسلامية، وحاجتها للوصف، وتطبيق أحكام الشريعة، وتسهيل مهمة الولاة[٢٠]، ظهرت الرحلات الجغرافية[٢١]، التي قدمت وصفاً دقيقاً للبلدان[٢٢]، لاعتمادها على المشاهدة والملاحظة،

التي زادت من قيمتها، ودفعت الخلفاء إلى تكليف موظفين لكتابة تقارير عن الأمصار المفتوحة[٢٣]، كرحلة ابن خرداذبه الذي تولى منصب صاحب البريد في الدولة العباسية[٢٤]، كما كان للناحية الاقتصادية دور في تنظيم العديد من الرحلات[٢٥]، التي شهدت تسجيلا لكل ما مر به الرحّالة منذ خروجهم من مدنهم ووصولهم لمختلف المدن الإسلامية، وقد شمل التسجيل وصف الطرق التي قطعوها والحياة الاجتماعية والعمرانية التي شاهدوها، كرحلات ابن جبير، والقاسم بن يوسف التجيبي السبتي، وابن بطوطة، وخالد بن عيسى البلوي، كما كان هناك نوع آخر من الرحلات تمت تحت رعاية الخلفاء، وهي رحلات البعوث كرحلة ابن فضلان[٢٦].

٢/١ - أهمية الرحلات الإسلامية :

برزت أهمية الرحلات الإسلامية في وصف الثقافات الإنسانية، واكتسبت قيمة تعليمية وعلمية، وأصبحت من أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان، وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين، وبالرغم من تعدد فوائدها، إلا أن فائدتها العلمية كانت الأكثر وضوحاً، وكان من بينها نشر الكتب بين المسلمين ووصف المكتبات الحاوية لها، علاوة على احتوائها على معلومات لا توجد في غيرها من المصادر كوصف الجوانب العلمية والمدارس في المدن الإسلامية ونشاط العلماء والمصادر المعتمدة في التعليم آنذاك، لذا شكلت الرحلات نمطاً فريداً من مصادر المعلومات، يهم كثير من المتخصصين، لاعتمادها على معلومات قائمة على المشاهدة والسماع، ورغبة الرحّالة في ارتياد مراكز العلم، ومجالسة العلماء والأخذ والعطاء.

ومما ساعد على زيادة قيمة الرحلات أيضا أن الرحّالة استفادوا من الحوافز المشجعة على القيام بها، كاهتمام الحكام والخاصة والعامة، وتعطش المسلمين للعلم وكتبه، الأمر الذي جعلها فنا قائما بذاته، وحظي باهتمام الباحثين ودرسوا تأثيره في حياة الإنسان، وتعرفوا على رواده الأوائل الذين شدوا الرحال إلى مختلف بقاع العالم حاملين مشعل المعرفة، فتضمنت مؤلفاتهم تأكيدات على دورهم العلمي المتميز والجمع بين مختلف المعارف[٢٧]، وإيمانا من الرحّالة أيضا بنشر المعرفة فبذلوا جهودا في تقريب الحضارات وترويض الخيال علّه يأتي بإنتاج مفيد في العلوم الانسانية، ويرفع شأن الحركة العلمية[٢٨]، لذا قادهم شوقهم للمعرفة إلى التحقق من المسالك والممالك، وتوغلوا بعقولهم متأملين وباحثين، فصححوا أخطاء من تقدمهم وأضفوا على رحلاتهم طابعا علميا بتصانيفهم التي تقاسمتها ثلاثة فنون هي: تقويم البلدان أو أدب المسالك، وأدب الرحلة، وكتب العجائب والغرائب[٢٩].

كما اعتاد المسلمون اتخاذ الرحلات وسيلة للتزود بالعلم واكتساب المعرفة، مما تولد عنهم نشاط علمي باهر، وكانت الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء من أقوى أسبابه، وعن طريقها بدأت علوم وآداب المشرق تُحمل إلى لمغرب، لوجود تيار علمي زاخر بين المشرق والمغرب، تمثل في أفواج العلماء الذاهبة والآيبة بينهما، حتى شُبه نشاطهم بحركة سير النمل في الذهاب والإياب.

كما كانت البلاد الإسلامية بالنسبة للرحّالة كرقعة شطرنج، يذهبون فيها ويجيئون، وكانت داراً واحدة، فإذا رحل الأندلسيون إلى المشرق، أو رحل المشارقة إلى الأندلس فإنّما يرحلون في دارهم وفي جو مشبّع بالروح الإسلامية، مما جعل الأفكار والكتب تنتقل بحرية تامة، وإن كان في الغالب أنّ انتقال الكتب كان يتم من الشرق إلى الغرب، لأن الشرق كان — في عصوره الأولى على الأقل — متقدماً على الغرب في التأليف، كما كان للرحلات أثر في ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها، لأن الرحّالة كانوا يحملون كثيراً من الكتب في شتى فروع المعرفة، وكان لهذا النشاط العلمي ثمرتان، أحدهما تمثلت فيما يحمله الرحال في صدره من علم ومعرفة، والأخرى تمثلت فيما ينقله معه إلى المشرق والمغرب من كتب قيّمة. فأخذ المسلمون في تلقي تلك العلوم من أفواه الرحّالة ومن بطون الكتب الواردة عليهم فازداد النشاط العلمي بصورة سريعة ومتنامية.

كما يعود للرحلات أيضا فضل اتساع التبادل الفكري، الذي جنت الحضارة الإسلامية ثماره على نطاق واسع. وكان لها فضل عظيم في ازدهار النشاط العلمي الإسلامي، ونهضت العلوم والآداب، نتيجة تألق وإبداع بعض الرحّالة، فصنفوا بأنفسهم مصنفات قيّمة. فكان للرحلات منفعة منها وإليها، فمنفعتها أنّها نشرت العلم ما شاء أن ينتشر، وكوّنت علماء نابغين، ووسّعت من رقعة الثقافة الإسلامية، حتى أصبح الرحّالة رُسل علم وحلقات اتصال وتبادل علمي وفكري بين الشرق والغرب، علاوة على أن ما صدر عنهم من كتب كان من أهم المصادر التي أشارت بوضوح إلى الجانب العلمي في الحضارة الإسلامية مع الكشف عن أصوله ومنابعه التي استقوا منها مؤلفاتهم وعلومهم، لترددهم على المراكز العلمية والمكتبات المعروفة آنذاك لتلقي المزيد من العلم فيها مع إعطاء وصف شامل لها.

٣/١- أسباب الرحلات الإسلامية:

تعددت أسباب الرحلات ودوافعها لدى المسلمين، وإن كان أبرزها ما يلي[٣٠]:

١/٣/١- السبب الأول: أداء فريضة الحج استجابة لقوله تعالى: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا"[٣١]، حيث كان الحج مجالاً خصباً لتباري أقلام الرحّالة وفرصة ثمينة لتواصلهم العلمي البناء[٣٢].

٢/٣/١- السبب الثاني: الدعوة لنشر الإسلام أو مذهب فقهي أو نشاط فرق دينية كرحلة الدعاة الفاسيين من الأسرة الكتانية في أواخر القرن الثامن الهجري وأوائل القرن التاسع إلى أندونيسيا لنشر الإسلام[٣٣].

٣/٣/١- السبب الثالث: طلب العلم كرحلة الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ الذي طاف العراق وأرض فارس وبلاد العجم، وكتبها وهو في سن الحادي والعشرين[٣٤].

٤/٣/١- السبب الرابع: النشاط التجاري البري والبحري وما أسفر عنه وما خلفه من آثار حميدة على مستوى الثقافة بمعناها الشامل[٣٥].

١/٣/٥- السبب الخامس: انتشار الفتوحات الإسلامية وربطها برغبة الحكام في معرفة البلدان التابعة لهم، ومساعدتهم في ترتيب دواوينهم الإدارية والمالية وتأسيس المدن ووضع نظام الجباية من زكاة وخراج وجزية(٣٦).

١/٣/٦- السبب السادس: الرغبة في اكتشاف الأماكن ومواقع البلدان ووضع خرائطها كرحلة الفتْية الذين خرجوا من لشبونة بالبرتغال أيام الحكم العربي لاكتشاف ما وراء بحر الظلمات وقيل بأنهم توقفوا بمركبهم في إحدى جزر الخالدات(٣٧)، ورحلة ابن فاطمة إلى ما وراء المحيط، إلا أن سفينته غرقت قرب غانا(٣٨).

١/٣/٧- السبب السابع: ويتعلق بتبادل السفارات بين الدول الإسلامية أو بينهم وبين الدول الأجنبية كرحلة يحيى بن الحكم الغزال إلى القسطنطينية في منتصف القرن التاسع الميلادي، ورحلة عبد الله بن العربي المعافري المعروفة بقانون التأويل(٣٩).

١/٣/٨- السبب الثامن: ويكتسي طابعا دينيا وروحانيا، ويعتبر أبو بكر الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ/١٢١٥م أشهر الرحَّالة المختصين في المزارات المتبرك بها، ودون تنقلاته تحت عنوان (الإشارات إلى معرفة الزيارات)، الذي يعد دليلاً لزيارة الأضرحة والمقامات الإسلامية(٤٠).

١/٣/٩- السبب التاسع: الخيال: حيث دخل الأدباء بخيالهم في الرحلة لتمرير أفكار وقضايا أو طرح ظواهر تشغل بالهم.

١/٤- أنواع الرحلات الإسلامية:

شاعت الرحلات بين المسلمين إلى أن أصبحت فناً قائماً بذاته، شمل من بين ما شمل وصف المكتبات والمراكز العلمية الإسلامية، لتجول الرحَّالة بينها، وسعيهم للقاء العلماء والاستفادة منهم وتسجيل أسانيدهم، وما أخذوه عنهم من كتب وإجازات، ونشرها في بلادهم(٤١)، ويعد ابن جبير صاحب أول رحلة بطريقة منهجية، وبالرغم من حرصه على حضور المجالس العلمية التي مر بها، إلا أنه أغفل الحديث عنها(٤٢)، لذا لا يمكن أن يُطلق على رحلته رحلة علمية، غير أن ابن رشيد السبتي خرج برحلته عن نهج ابن جبير وحولها إلى ديوان علم، حتى امتزجت رحلته بما عُرف في الحضارة الإسلامية بالفهرسة أو البرامج(*)، فكانت من أوسع البرامج العلمية، لاحتوائها على تراجم وافية وأسانيد مضبوطة وأسماء كتب، وحلوها من الوصف الجغرافي، لأنه أثناء خروجه للحج زار الإسكندرية والقاهرة عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، وسجل ما كانت عليه المدينتين من نشاط علمي، وتردد على

(*) البرنامج نوع من الرحلات قائم بذاته، انصب اهتمام مؤلفه على الجانب العلمي فقط. والبرنامج يقابل معنى الفهرسة فهو كتاب يجمع فيه الشيخ أسماء شيوخه وأسانيده من مروياته وقراءته على أشياخه والمصنفات ونحو ذلك، فلفظ برنامج يستعمله أهل الأندلس كثيراً، والبرنامج يرادف الفهرسة والمعجم والثبت والمشيخة.

المجالس العلمية لتلقي العلم إما قراءة أو سماعاً، وأجاز له عدد من العلماء، وأشار إلى أسماء الكتب المعول عليها لتعلم آنذاك، كما ترجم لعدد كبير من علماءهما(٤٣)، لذا اصطبغت رحلته بالصبغة العلمية، ونتج عن تدوينه لها ظهور كتاب يعكس الطابع العلمي والفكري التي كانت عليها الديار المصرية في أواخر القرن السابع الهجري(٤٤).

أما رحلة ابن جابر الوادي آشي فهي رحلة علمية، لأنه أكثر فيها من الأحاديث والرواية ولقاء العلماء، مما جعلها سجل علمي يحوي أدبيات وتراجم علماء وأسماء كتب مشهورة، لم يُعرف بعضها إلا من خلال رحلته، كما تجول في معظم المراكز الإسلامية، وأخذ عن علماءها، وعاد للتدريس في تونس، وعلا شأنه بفضل ما جمعه في رحلته، كما رحل إلى المغرب والأندلس، حتى بلغ عدد الشيوخ الذي أخذ عنهم ٢٧٩ شيخاً وشيخة، وتمكن في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م من عقد مجالس علمية حفلت بالمناقشات والمناظرات والجمع فيها بين علماء تونس والمغرب(٤٥)، أما العبدري فقد خرج للحج، وسعى للقاء العلماء والحصول على إجازاتهم، كما احتوت رحلته على بعض القضايا وما قيل في مناقشاتها من آراء، ثم تبعها برأيه استناداً على ما ذُكر في الكتب السابقة، أما رحلة التجيبي السبتي فكانت لأداء الحج وطلب العلم مما جعلها مليئة بتراجم العلماء الذين قابلهم، وأجازوا له بعض العلوم، والكتب التي حصل عليها.

ومن ضمن الرحالة الذين ألفوا برامج أيضا الرعيني، لخلو رحلته من الوصف الجغرافي، حيث كانت لطلب العلم وأداء الحج، بينما يُلاحظ على رحلة البلوي والتي قام بها في سبيل العلم وأداء الحج، أنها اشتملت على الجانب العلمي إلى جانب الوصف الجغرافي، لأنه اعتنى بوصف المدن التي مر بها وحلقات العلم الموجودة بمساجدها، وذكر الدواوين الشعرية الذائعة في عصره وتراجم الأعلام الذين قابلهم في رحلته والقضايا الفكرية السائدة وإجازات لكل ما حصل عليها(٤٦)، وبالرغم من وضوح الجانب العلمي في رحلته، ولكن لا يمكن أن يُطلق عليها لفظ برنامج، لأنها كانت رحلة علمية وصفية، أما رحلة ابن بطوطة لم تكن رحلة علمية بقدر ما كانت رحلة جغرافية، بالرغم من إنها كانت لأداء الحج، لأنه كان رحالة بالدرجة الأولى، وقد قام بالسفر والتجوال في أرجاء العالم مع إيراده لأسماء العلماء الذين قابلهم إجلالاً لقدرهم، وبعده بحوالي قرنين انتعشت الرحلة الجغرافية من جديد على يد الحسن الوزان الفاسي والمتوفى بتونس عام ٩٥٧ هـ، حيث قدم للقارئ في رحلته معطيات جغرافية وتاريخية واجتماعية، متقصيا معلوماته بالمشاهدة والسماع والتواصل مع الآخرين(٤٧).

٥/١- الجوانب العلمية للرحلات الإسلامية:

كانت الرحلات الإسلامية متكاملة منذ بدايتها، متوفر بها جميع الأسباب والوسائل، وأفرزت إنتاجاً فكرياً متميزاً، كان أهمه وأرفعه ما قام أصحابه بتأليفه، كما كانت الحواضر الإسلامية مقصد الرحّالة بغية التزود بالعلم، فوفدوا إليها من كل مكان، للقاء علماء آخرين من أماكن أخرى،

وحدت بينهم تقارب وتفاهم واستزادة علم وامتداد المعرفة وانتشار الأفكار ومصادرها بين مختلف الأقطار الإسلامية[٤٨].

ومما زاد من القيمة العلمية للرحلات الإسلامية أن من قام بها كبار علماء المسلمين وأجلهم شأنا، الذين كانوا أحرص الناس على ممارسة القراءة في أي مكان وبأية وسيلة، حيث كان الرحَّال أثناء ترحاله يطالع ما شاء المطالعة في مصحف أو كتاب، فمثلا فرغ ابن جبير من حفظ القرآن الكريم بعد عام من قيام رحلته، كما قرأ أثناء وجوده بالمسجد الحرام كتاب أخبار مكة لأبي الوليد بن الأزرقي، واطلع على كتاب الموطأ لمالك بن أنس، وأثناء وصفه للمسجد النبوي وجد محمل كبير مدهون عليه مصحف كبير في غشاء مقفل عليه وهو أحد المصاحف الأربعة التي أرسلها عثمان بن عفان إلى البلاد، ومن بين ما اعتمد عليه في تأليف رحلته كتاب تارخ أخبار دمشق لأبي القاسم بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، والبالغ عدد مجلداته ما يقرب من مئة مجلد، كما قرأ تاريخ ابن المعلي الأسدي لمعرفة بعض أخبار دمشق[٤٩].

أما ابن بطوطة فكان أول ما قرأه في رحلته كتاب التبصرة في الفقه لأبي الحسن اللخمي المالكي بمدينة صفاقس، وبوصله مدينة الإسكندرية قرأ كتاب المسالك لأبي عبيد الذي يصف في مدينة الإسكندرية، وعندما بات ليلة في رباط تاج الدين بن حناء بدير الطين اطلع على مصحف علي بن أبي طالب الذي بخط يده، واطلع أثناء تواجده بمدينة الخليل على كتاب علي بن جعفر الرازيالي المعروف بالمسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والمسند فيه صحة وجود هذه القبور الثلاثة، ومن بين ما ذكره بن بطوطه أن تقي الدين بن تيمية كبير فقهاء الحنابلة عندما أمر الملك الناصر بسجنه، صنف وهو في السجن كتاباً في تفسير القرآن الكريم سماه البحر المحيط، في نحو أربعين مجلداً، كما قرأ ابن بطوطه أثناء وجوده بدمشق كتاب "المعلم في شرح صحيح مسلم" للقرطبي، واطلع وهو بمدينة البصرة في مسجد علي بن أبي طالب على نسخة من المصحف الشريف الذي كان يقرأ فيه عثمان بن عفان عندما قُتل، وفي مدينة شيراز وبعد صلاته للعصر قرأ كتاب المصابيح وشوارق الأنوار لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني، كما سمع بمسجدها كتاب مسند الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وبوصوله مدينة ميلاس مر بتربة الشيخ الصالح القطب جلال الدين، وكان له تلاميذ كثيرة ألفوا عنه كتابا في الشعر أسموه المثنوي، ويعظم أهل تلك البلاد ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه، ويعلمونه ويقرأونه بزواياهم في ليالي الجمعات، ومر ببخاري على قبر الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مصنف كتاب الجامع الصحيح، وبعد خروجه من سمرقند مر ببلدة النسف التي ينسب إليها أبو حفص عمر النسفي، مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الأربعة، ثم وصل إلى مدينة ترمذ التي ينسب إليها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مؤلف الجامع الكبير في السنن، كما وقف واطلع بمدينة دلهي بالهند على نسخة من المصحف الشريف بخط الملك ناصر الدين[٥٠].

أما البلوي فكان أول ما قرأه في رحلته كتاب التيسير، والقصيدة اللامية المسماة بحرز الأماني لأبي القاسم بن فيرة الشاطبي، والتقى بمدينة تونس بأبي عبد الله بن عبد السلام وسمع بمنزله كتاب المؤطأ لمالك بن أنس، كما قرأ صحيح مسلم، وسمع عن أبي عبد الله لبن كتاب "البديع المزري بروض الربى وزهر الربيع الذي سماه مهب نواسم المدائح ومصب غمائم المنائح في مدح أحد حجاب الخلافة الحفصية"، وقرأ أيضا كتاب أبي العباس النقارسي في العروض المعروف بالروض الأريض في علم القريض، وجميع تآليفه في الأدب الذي لخص فيه رسالة أحكام صنعة الكلام من إنشاء الوزير الكاتب أبي عبد الله بن عبد الغفور، وأجاز له جميع ما رواه وألفه التي أبدع فيها تلخيص مشاكل الحديث لابن فورك، وكتاب حديقة الناظر في تلخيص المثل السائل في علم البيان، وشرح كتاب المصباح لابن مالك، وكتاب إيضاح السبيل والقصد الجليل في علم الخليل في شرح قصيدة ابن الحاجب العروضية، وبوصول البلوي مدينة الإسكندرية اطلع على كتاب أبي الربيع بن سالم الكلاعي المعروف بالاكتفاء، وذكر علمائها وبعض كتبهم مثل كتاب سحر الشعر، وكتاب الأشعار بمزات الأشعار لابن عبد ربه القرطبي، وكتاب المطمح، كما قرأ كتاب الشهاب للقضاعي، وكتاب تنبيه المذنب بالطير والحوت قبل أن يموت لشمس الدين أبي عبد الله بن النعمان، وسمع القصيدة الفقهية في الحجة والزورة المحمدية لمجد الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر البغدادي، كما أنه وهو بمدينة الإسكندرية وفي منزل أبو عبد الله محمد بن عز الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن شهاب الدين سمع منه مجالس أمالي الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، وجزء فيه ثلاثة عشر حديثا مخرجه من كتاب الترمذي، ومما قرأه أيضا كتاب "قضاء حوائج الأخوان وإغاثة اللهفان" للحافظ أبي الغنائم محمد بن على بن ميمون النسري الكوفي، وممن لقاهم في الإسكندرية أيضا الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن يونس بن عبد الله الهواري التونسي فسمع عليه كتاب التنقيح لشهاب الدين القرافي(٥١).

لذا اشتركت معظم الرحلات الإسلامية في الجانب العلمي، وإن كان بنسب متفاوتة، لوصفها الناحية العلمية للبلاد التي مر عليها الرحَّالة، والترجمة للعلماء الموجودين بها، والمدارس وحلقات العلم التي كان يجلس فيها العلماء للتدريس، وذكر الإجازات التي حصلوا عليها، والعلوم المتصدرة وأسماء الكتب المتداولة في ذلك الوقت والمستخدمة في التدريس(٥٢)، كما تميزت الرحلات الإسلامية بميزة التدوين، فكان كل رحالة يكمل ما نقص من سلفه، ويضيف إلى فن الرحلة لبنة جديدة، فمثلا ابن جبير كان نموذجاً يحتذى به، وإن لم يقم فيها بالترجمة للعلماء الذين التقى بهم، بينما اختلفت رحلة الرعيني عن رحلة ابن جبير، لأنه اهتم بشكل أساسي على الجانب العلمي من حيث الترجمة لشيوخه والكتب التي نال إجازتها في علم الحديث، فحفلت رحلته بميزة التعريف بالعلماء ومدى إسهامهم في الحركة العلمية، أما ابن رشيد فقد اتبع في رحلته نهج ابن جبير، ولم يلبث أن طغى

الجانب العلمي عليها، حتى يمكن تصنيفها ضمن البرامج لما حوته من ذكر العلماء والكتب المتداولة في تلك الفترة، إلى جانب المناقشات والمناظرات العلمية والأدبية(٥٣)، أما رحلة العبدري فتأرجحت بين الرحلة الوصفية والعلمية، لأنه بالإضافة إلى وصف المدن والمراحل، قام بتصحيح الأخطاء الشائعة، معتمدا في ذلك على الموازنة بين الكتب التي تحدثت عن الموضوع وإبراز الصحيح فيها مع بيان رأيه(٥٤)، في حين تعد رحلة ابن جابر الوادي آشي من البرامج، لاشتمالها على تراجم للعلماء والشيوخ الذين التقى بهم، كما كانت رحلة خالد بن عيسى البلوي رحلة علمية، لاجتماع أهل تونس به بعد عودته، يطالبونه بما احتلب من فوائد، ويقصدونه لإطلاق ما قيد من القصائد(٥٥)، وقد ركزت الرحلات الإسلامية في وصف الجوانب العلمية للحضارة الإسلامية على ما يلي:

١- الترجمة للعلماء الموجودين في ذلك الوقت.

٢- وصف أماكن حلقات العلم التي يجلس فيها العلماء للتدريس.

٣- ذكر الإجازات التي حصل عليها الرحالة.

٤- وصف المدارس الموجودة بالمدن الإسلامية.

٥- ذكر أسماء الكتب المتداولة في ذلك الوقت والمعتمد عليها في التدريس.

٦- ذكر العلوم المتصدرة للتدريس.

٧- وصف المكتبات التي كانوا يترددون عليها.

المبحث الثاني
وسائل الرحلات في نشر الكتب

لم يكن نشر الكتب في الحضارة الإسلامية عملية عشوائية، بل كان عملية منظمة وانتقائية حسب الزمان والمكان والمضمون والهدف، لما لها من سند علمي، وعاملا مؤثرا في الموازنات العلمية، ومفتاحا للسياق التاريخي في الأخذ والعطاء، وقد تعددت وسائل الرحلات في نشر الكتب بين المسلمين، التي اتخذت مسارين هما:

١/٢- المسار الأول: نشر الكتب في الشرق الإسلامي:

١/١/٢- وقف المصاحف:

كانت المصاحف على رأس الكتب التي حرص المسلمون على نشرها عن طريق الرحلات، ووقفها على المكتبات وطلبة العلم، وبالرغم من أنها بدأت من الشرق الإسلامي إلى الغرب الإسلامي، إلا أن بعد ذلك بدأت تتم من الغرب إلى الشرق، وفي هذا توجد أخبار وافرة منها أن السلطان أبا يعقوب يوسف المريني المتوفي في عام ٧٠٦هـ أوقف على الحرم المكي مصحفاً، حمله ركب الحاج المغربي عام ٧٠٣هـ، ووصفه ابن خلدون بأنه "مصحف رائق الصنعة، كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن. واستوسع في حرمه، وعمل غشاءه من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بحرزات الدر والياقوت، وجعل منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقداراً وشكلاً وحسناً، واستكثر من

الأصونة عليه"[٥٦]، وأكد هذا ابن مرزوق حينما ذكر "رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه أبو يعقوب بخط ابن حسن، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة، فانتزع ما عليه، وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا، وقد قرأت فيه في أعوام"[٥٧].

كما بعث السلطان أبا الحسن المريني المتوفي عام ٧٥٢هـ إلى الحرم المكي مصحفاً كتبه بيده، وتولى تنميقه وتذهيبه مشاهير الوراقين، وقام بضبطه وتهذيبه كبار القراء، وتفنن مهرة الصناع في تغشية وعائه بالذهب وترصيعه بالجواهر والياقوت، واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير الديباج وأغشية الكتان"[٥٨]، ولم يكتف السلطان أبو الحسن ببعث هذا المصحف، بل شفعه بمبلغ مالي قُدر بستة عشر ألف وخمسمائة دينار ذهب لشراء الضياع بالمشرق وحبسها على قراءه[٥٩]، بينما ذكر ابن الوردي في عام ٧٤٧هـ "أن أبا الحسن كتب بخطه ثلاثة مصاحف، وأوقفها على الحرمين الشريفين وعلى القدس"[٦٠]، وعلى غرار هذا الصنيع بعث السلطان عبد الله بن إسماعيل إلى المسجد النبوي ثلاثة وعشرين مصحفاً بين كبير وصغير كلها محلاة بالذهب ومرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الذي يقال بأن عقبة بن نافع نسخه من مصحف عثمان بن عفان[٦١].

٢/١/٢- وقف الكتب والمكتبات:

كانت العناية بالعلم والتشجيع على طلبه وتحصيله ونشره من أفضل الأعمال لنيل رضا الله وثوابه، لذا كان وقف الكتب على طلاب العلم في مقدمة ما أولاه المسلمون اهتمامهم، وكان من مظاهر هذا الاهتمام وقف الكتب، بل خزائن برمتها عليهم، لذا حرص العلماء على وقف كتبهم على الحرمين الشريفين، لأن ما من عالم صنف كتاباً في المشرق أو في المغرب إلا ويصرف نسختين للمسجدين الشريفين رجاء الإقبال على كتابه، وأقدم ما أُوقف من كتب على الحرم الشريف جملة من كتب الفقه المالكي التي حبسها على طلبة المذهب المالكي إمام المالكية محمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي عام ٥٨٨هـ، ووضعت في الركن المالكي منه، وكان منها كتاب المقرب لابن أبي زمنين في ستة مجلدات[٦٢]، وبعده أوقف الخليفة الموحدي يعقوب المنصور المتوفى عام ٥٩٥هـ خزانته على طلبة العلم، وأوقف عليهم أيضا أبو الحسن الشاري الغافقي السبتي المتوفي عام ٦٤٩هـ خزانته[٦٣].

كما أوقف العالم المغربي أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري المبورقي المتوفي في عام ٦٨٧هـ في القرن السابع الهجري مكتبته على طلبة العلم، التي كانت حافلة بكتب نفسية في مختلف الفنون والمعارف، لاسيما السير التراجم والتاريخ[٦٤]، وقد أفاد منها تقي الدين الفاسي فيما كتبه عن تاريخ مكة، كما أفاد منها أبو الفضل محب الدين ابن فهد في بعض ما ألف من كتب التاريخ[٦٥]، وفي القرن الثامن أوقف عبد الواحد الجزولي كتبه كلها على طلبة العلم برباط دكالة بالمدينة المنورة[٦٦]، وأوقف في ذلك القرن أيضا أبو عبد الله محمد بن محمد الفرناطي المتوفي

في عام ٧٥٤هـ كتبه على طلبة العلم في بمكتبة المدرسة الشهابية[٦٧]، كما أوقف في هذا القرن أيضا إبراهيم التلمساني المتوفي في عام ٧٦٦هـ كتبه على مكة والمدرسة الشهابية بالمدينة المنورة[٦٨]، أما في القرن التاسع فأوقف أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المتوفي في عام ٨٣٢هـ مكتبته على العلماء والمتعلمين وعلى عامة الراغبين في الاطلاع عليها وقراءتها، وكان السخاوي ممن شاهدوها، كما وقف في عام ٨٧٨هـ في رباط المغاربة على مكتبة علمية فيها عدد من الكتب[٦٩].

ومن جملة ما سبق يلاحظ أن مكتبات المسجد الحرام تكونت وحظيت باهتمام الرحّالة، فقال عنها ابن جبير "أول ما يلقى الداخل على الباب عن يساره الركن الذي خارجه الحجر الأسود، وفيه صندوقان فيهما مصاحف"، وذكر في موضع آخر أن "قبة بئر زمزم يليها قبة الشراب المنسوبة للعباس رضي الله عنه، وتليها على الخراف قبة تنسب لليهودية، وهاتان القبتان كانتا مخزنا لأوقاف البيت الكريم من مصاحف وكتب وغيرها"، كما ذكر في موضع آخر أن قبة العباسية كان بها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف أحد الخلفاء الأربعة، وبخط يد زيد بن ثابت مستنسخ سنة ثماني عشرة من وفاة رسول الله، وينقص منه ورقات كثيرة، وهو بين دفتي عود مجلد تمغاليق من صفر، كبير الورقات واسعها، عاينا وتبركنا بتقبيله ومسح الجدود فيه"، وأثناء حديثه عن باب إبراهيم ذكر أنه "في زاوية كبيرة متسعة، فيها غرفة عبارة عن خزانة للكتب موقوفة على المالكية في المسجد الحرام"، وأثناء زيارة ابن جبير للمسجد النبوي وجد بإزاء المقصورة خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف وموقوفة عليه، كما رأى ابن جبير في الجامع الأموي بدمشق وخاصة في الركن الشرقي من مقصورته في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان بن عفان الذي أرسله إلى بلاد الشام[٧٠].

وقال عنها ابن بطوطة "وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها إمام الشافعية وفي الركن الشرقي منها إزاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان إلى الشام، وتفتح كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لمس ذلك المصحف الكريم[٧١]، وعندما وصل مكة ودخل المسجد الحرام وجد بقبة بئر زمزم "مخزن المصاحف الشريفة، والكتب التي للحرم الشريف وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع، فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت، منتسخ سنة ثماني عشرة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وأثناء مروره يوماً ببعض أسواق مدينة شيراز، رأى بمسجدها مصاحفاً موضوعة في خرائط حرير فوق كرسي، وفي الجهة الشمالية من المسجد زاوية فيها شباك مفتح إلى جهة السوق وهنالك شيخ جميل الهيئة واللباس، وبين يديه مصحف يقرأ فيه[٧٢].

وقد حظيت مكتبات الحرمين الشريفين باهتمام ابن بطوطة لحرصه على زيارتها والإفادة من محتوياتها، ووصف ذخائرها: يقول واصفاً مكتبة أبي مهدي عيسى الثعالبي: "ولها باب مفتوح

إلى المسجد فيما بين باب حزورة وباب إبراهيم، وكان يجلس فيها أحيانا، وهي مأواه قبل أن يتأهل، فلما سافر إلى المدينة ترك فيها بعض كتبه، وكانت مفاتيحها بيد رجل من أهل إفريقيا من أصحابه، كان يأوي إليها، فطرق حادث السيل وغفل عن تنحية الكتب ظنا منه كغيره أن الأمر لا يبلغ إلى ما بلغ، حتى أتى الماء عليها كلها ولم يسلم منها شيء، وكانت نحو ثمانين سفراً، فيها من نفائس الكتب وغرائبها ما لا يوجد في غيرها، وكان من أجزاء من المدونة الكبرى التي هي أم الدواوين الفقهية، ولم يسلم منها شيء، ومنها عيون الأدلة لابن القصار، وكان يثني عليه كثيراً في بسط أدلة المذهب والانتصار له والرد على المخالفين، مع التحقيق التام، إلى غير ذلك من الكتب منها ما هو ملكه، ومنها ما هو من كتب الوقف، كما أفاد هذا الرحالة أنه وقف على نسخة من رحلة ابن رشيد، عليها خطه وإجازته لتلميذه؛ صاحبه عبد المهيمن الحضرمي، رأيت هذه النسخة بمكة عدة أسفار، وذكر في آخرها أنه استخرجها من مسودته[٧٣].

٢/٢- المسار الثاني: نشر الكتب في الغرب الإسلامي:

١/٢/٢- النقل والرواية:

ارتحل يحي بن يحي الليثي المتوفي في عام ٢٣٤هـ/٨٤٧-٨٤٨م وهو في سن ثمان وعشرين عاما إلى الشرق، وكان أول من روى كتاب الموطأ عن الإمام مالك بالأندلس، أما أبو محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي المتوفى عام ٣٠٢هـ فكان أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس، ومما يذكر أن القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى المتوفى عام ٣٢٤هـ قد أعجب بمكة عند رحل إليها في عام ٣١٢هـ بأبيات شعرية سمعها فكتبها على ظهر يده حتى لاينساها، وممن انصرف إلى الأندلس بعلم كبير، ومال الناس إليه أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البياني، كما عاد أبو عبد الله محمد بن يحي بن أحمد بن مفرج القرطبي عام ٣٣٧هـ إلى الأندلس بزاد كبير، فاستقضاه الحكم المستنصر، وكذلك القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة الذي رحل حاجا إلى مكة عام ٣٠٨هـ، وسمع بمكة من محمد بن المنذر النيسابوري كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى بـ "الإشراف"، أما عالم فاس الأثير دراس بن إسماعيل المتوفى عام ٣٥٧هـ، رجع بعد الحج إلى فاس فكان أول من أدخل مدونة سحنون[٧٤]، أما أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني فأوصل إلى المغرب بعد رحلته للحج كتاب صحيح البخاري، كما حمل أبو القاسم خلف بن فرج بن عامر بن فلحون القنطري الأندلس كتاب تجريد الصحاح في عام ٥٠٥هـ[٧٥].

٣/٢- أماكن الرحلات لنشر الكتب:

كانت المكتبات من أبرز المؤسسات الإسلامية للقيام بنشر الكتب، وإن كان من أبرزها مكتبات الحرمين الشريفين، نظرا لتوافد المسلمون عليها من كافة الدول الإسلامية، لذا تعرض الباحث لها بالشرح كما يلي:

١/٣/٢- مكتبات المسجد الحرام :

يعد المسجد الحرام من أعظم المراكز الإسلامية العلمية، لأن بجانب مكانته الدينية، كان مقراً للتدريس وجامعة مفتوحة لطلبة العلم من كافة الدول الإسلامية(٧٦)، وكان الشيوخ يتصدرون حلقات الدرس وحولهم الطلبة من مختلف الجنسيات(٧٧)، إلى جانب تنوع العلوم الملقاة فيها(٧٨)، لم يكن التعليم في المسجد الحرام وفق منهج محدد، بل كان الأمر متروكاً لكل عالم في تدريس المفيد من العلم(٧٩)، ويتبع الطالب ميوله العلمية، فإذا برز في علم واجتاز امتحانه أجيز فيه، وأصبح مؤهلاً لتدريسه(٨٠).

وبالرغم من قدم مكانة المسجد الحرام، ولكن قيمته العلمية برزت منذ أن تصدر ابن عباس للتدريس فيه(٨١)، واستمر الوضع بتصدر كبار العلماء للتدريس، فقد ذكر ابن رشيد أن رضي الدين الطبري كانت تدور عليه الفتاوى أيام الموسم(٨٢)، وقد كثرت حلقات العلم والتدريس به، حيث ذكر ابن جبير "إنه غاص بحلقات الدرس"(٨٣)، كما أظهر كل من ابن جابر الوادي وابن رشيد مدى إشعاعه العلمي، حيث كان موسم الحج مناسبة لكل شيء(٨٤)، ولا يلبث أن يغادر العالم إلى بلاده محملاً بما نال من علم، وما حصل عليه من إجازات(٨٥)، وقام ابن جابر الوادي آشي بنشر ما تلقاه من علوم عندما عاد إلى موطنه(٨٦)، كما أشار الكثير من الرحّالة إلى تنوع حلقات العلم من سماع الأحاديث الشريفة(٨٧)، والشعر(٨٨)، والتفسير والسير والمغازي وعلوم الحديث ونماذج من خطب الجمعة وعلم القراءات والفقه وغيرها(٨٩)، ومما ساعد على بروز دور المسجد الحرام كمركز علمي توفر الكتب، فقد شاهد كل من ابن جبير والتجيبي وابن بطوطة والبلوي خزائن للكتب فيه(٩٠)، وقد تكونت تلك الخزائن من وقف الكتب من قبل علماء مكة(٩١)، إضافة إلى الكتب الخاصة بكل عالم يتولى التدريس منها، فمثلا ذكر التجيبي أن لنجم الدين الطبري خزانة كتب كبيرة(٩٢)، كما ساهم علماء كل مذهب بتأمين الكتب للطلبة وإيقافها عليهم داخل المسجد الحرام، حيث شاهد ابن جبير خزانة للكتب تتبع الإمام المالكي موقفة على أهل مذهبه(٩٣)، كما كان يأتي الطلبة ببعض الكتب لمقابلتها مع ما لدى علماء مكة وإضافة الشروحات عليها وخير مثال على وفرة الكتب بمكة المكرمة ما حوته الرحلات من أسمائها(٩٤).

ولا جدال في أن هذا المسجد كان وما برح قبلة المسلمين جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها، وكان خاصتهم وعامتهم يتيمنون بإهدائهم إليه أفخر ما لديهم من جواهر ثمينة وتحف بديعة تقربًا لله تعالى، وراح الخطاطون والعلماء يكتبون المصاحف الرائعة والمؤلفات المتنوعة والأبحاث والموضوعات ليزينوا بها خزائن هذا المسجد، ويبعثون إليه طلبة العلم، وقد أثبتت الرحلات أسماء ملوك وسلاطين تولوا كتابة نسخ من القرآن الكريم بأيديهم وبعثوا بها إلى مكة تيمنًا وتبركًا، وكذا الحال بالنسبة لإهداء المؤلفات الأخرى التي كان يرسلها مؤلفوها أو نساخها إلى مكتبة المسجد الحرام.

وبتوالي الأعوام تكونت مكتبات المسجد الحرام التي كانت بلا ريب من أغنى المكتبات الإسلامية، وقد بعث أحد ملوك المغرب بمصحف ضخم حمل على بغل مع أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اليقوري المتوفي في عام ٧٠٧هـ ليوقفه على المسجد[٩٥]، ولا شك أن المكان الذي قصد ذلك السلطان وقف المصحف فيه هو الحرم المكي، غير أنه بين ليلة وضحاها ذهبت تلك المكتبات فريسة النار بتاريخ ١٣ رمضان سنة ٨٨٦ هـ، بسبب صاعقة انقضت على مئذنة المسجد فانهارت على سقفه، وعلقت به النار فأحرقت المسجد بكامله، والتهمت جميع ما فيه من مصاحف وخزائن كتب، وكانت تضم تلك الخزائن كتبًا نفيسة ومصاحف عظيمة[٩٦].

٢/٣/٢- مكتبات المسجد النبوي:

يعد المسجد النبوي ثاني أكبر المراكز العلمية في الحجاز، وإن لم يصل في مكانته للمسجد الحرام لاضطهاد أهل السنة، حيث لم يكن في المستطاع الجهر بقراءة كتب السنة فيه[٩٧]، وهذا ما أثار انتباه ابن جبير مما جعله يشير إلى تصدر الشيعة للإمامة والخطابة[٩٨]، بينما كان المسجد الحرام يستوعب كافة المذاهب دون تفرقه بينها بإشارة ابن جبير والتجيبي والبلوي[٩٩]، ولكن ما لبث أن تغير هذا الوضع بعد ذلك، حيث أكدت الرحلات بعد ابن جبير من بروز دور علماء السنة في المدينة المنورة[١٠٠]، وظل مقصداً لطلبة العلم يرجعون منه إلى أوطانهم لنشر ما تلقوه من علم، وكان العلماء المجاورون يحتفظون بكتبهم في أماكن خاصة بهم داخل المسجد[١٠١].

لأن ما من عالم صنف كتاباً بالمشرق أو بالمغرب إلا ويصرف نسخة منه للمسجد النبوي تبركاً ورجاء الإقبال عليه، إضافة إلى وجود عدد كبير منها للإعارة[١٠٢]، حيث شاهد فيه ابن جابر الوادي آشي اختصاراً لتاريخ الذهبي الذي كان واحد وعشرين مجلداً فنقل منه[١٠٣]، كما ضم المسجد النبوي مكتبة كبيرة احتوت على خزانتين كبيرتين من الكتب وبعض المصاحف الموقوفة عليه[١٠٤]، وأشار أيضا ابن رشيد إلى دور الحجاج في نشر العلم وكتبه أثناء سيرهم إلى الحجاز، لأن ركب الحجيج كان يضم آلاف المسلمين وهم أثناء سيرهم يتدارسون ويتلقون العلم[١٠٥]، وما كان للمسجد النبوي للقيام بدوره بدون وفرة الكتب ووجود العلماء للتدريس فيه، لذا شدت الرحال إليه، والتزود بالعلم، ويباشر الرحَّالة بعد ذلك نشره في أوطانهم[١٠٦].

وتكون في هذا المسجد مكتبة كبيرة مما أوقفه الملوك والحكام والأثرياء في مراحل تاريخية مختلفة، ففي عام ٥٨٠هـ كانت فيه خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة[١٠٧]، وكانت لإبراهيم بن رجب بن حماد الرواشي الكلابي المتوفى في عام ٧٥٥هـ كتب نفيسة، أوقفها بالمسجد النبوي[١٠٨]، وأوقف سلطان بلاد فارس شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدي المتوفى في عام ٧٨٧هـ خزانة كتب بالمسجد النبوي عند زيارته للمدينة، قال عنها السخاوي: "له في الحرم المدني آثار منها: الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها، فما من طالب مقتبس إلا وهو يستفيد من جواهر زواخرها"[١٠٩].

النتائج:

١- كانت الرحلات الإسلامية متكاملة وتوافر فيها جميع الأسباب والوسائل.

٢- امتزجت معظم الرحلات الإسلامية بجوانب عديدة منها العلمي والوصفي والديني والثقافي.

٣- كانت الرحلات من أبرز المصادر في التعريف بالكتب الإسلامية.

٤- وضوح الجانب العلمي في معظم الرحلات الإسلامية.

٥- كان الرحَّالة من أكثر الأشخاص الذين يحظون بثقة الحكام والأمراء في حمل كتبهم إلى مكتبات الحرمين الشريفين.

٦- كانت مكتبات الحرمين الشريفين من أكثر الأماكن لنشر الكتب، لتوافد جميع المسلمين عليهما.

٧- تركز نقل العلوم في بداية الأمر من الشرق إلى الغرب الإسلامي نظرا لازدهار هذه العلوم هناك، ولكن بعد هذا كان النقل متبادلا.

٨- ساهمت الرحلات من خلال وقف الكتب في تأسيس العديد من المكتبات.

التوصيات:

١- يجب دراسة الرحلات الإسلامية من جانبين، أولهما إعداد قوائم ببليوجرافية بها، وثانيهما إعداد قوائم ببليوجرافية بما ورد فيها من كتب.

٢- دراسة الوسائل الأخرى التي كان المسلمون يتبعونها لنشر كتبهم.

٣- دراسة فلسفة دور المكتبات في نشر الكتب.

٤- دراسة مدى مساهمة الرحلات في تأسيس المكتبات الإسلامية.

قائمة بالمصادر والمراجع:

(١) محمد المنوني. ركب الحاج المغربي.- تطوان: مطبعة المخزن، ١٩٨٣.- ص١٢.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية: ج٤.- ط٣.- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤.- ص١٧٠٧.

(٣) بطرس البستاني. دائرة المعارف: ج١٠ .- بيروت: دار المعرفة، د.ت.- ص٢٦٤.

(٤) اعتمد الباحث على:

أ- أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات: إنجليزي- عربي.- الرياض: دار المريخ ١٩٨٨.- ص٩١٧.

ب- شعبان خليفة. قاموس البنهاوي الموسوعي في مصطلحات المكتبات والمعلومات.- طبعة تذكارية.- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.- ص٣٥٣.

(٥) عبد التواب شرف الدين وعبد الفتاح الشاعر. المعجم الموسوعي لعلوم المكتبات والتوثيق والمعلومات.- ط١.- الكويت: شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٨٤.- ص٣٤٩.

(٦) محمد أمين البنهاوي. معجم المصطلحات المكتبية.- ط٢ مزيدة ومنقحة.- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥.- ص٢٢١.

(٧) عيسى بو يوزان. "فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين".- بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ.- ٨٠ص.

(٨) حسن الوراكلي. "أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين".- بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية الذي نظمته جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ.- ١٧ص.

(٩) عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع. "ملامح الرحلة العلمية اليمانية إلى مكة المكرمة خلال القرون الخمسة الهجرية الأولى".- بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ.- ٣٠ص.

(١٠) عبد السلام بن المختار شقور. "المناظرات والإنشادات في الرحلات المغاربية الحجازية".- بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ.- ٤٦ص.

(١١) عبد العزيز بن راشد السنيدي. "المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠-٦٦٠هـ/١١٧٤-١٢٦٠م)".- بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ.- ٩٦ص.

(١٢) عواطف محمد يوسف نواب. الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية مقارنة.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٦.

(١٣) نفس المرجع السابق.- ص٣٣.

(١٤) ابن الأثير، عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج٥.- بيروت: دار الفكر، د.ت.- ص ١٠١.

(١٥) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية: ج١/ ضبطها وحققها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي.- القاهرة: دار الكنوز الأدبية، د.ت .- ص٤٣٤.

(١٦) ابن عبد البر، عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: ج١.- بيروت: دار الفكر، د.ت.- ص ص١١١-١١٢.

(١٧) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله. سير أعلام النبلاء: ج١٢/ تحقيق حسان عبد المنان.- الرباط: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.- ص ص٤٠٨-٤٠٩.

(١٨) ابن حجر. هداية الساري.- ص٤٨٦.

(١٩) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. مروج الذهب ومعادن الجواهر: ج١/ محمد محي الدين عبد الحميد.- القاهرة: د.ن، د.ت.- ص١٣٨.

(٢٠) أحمد رمضان أحمد. الرحلة والرحالة المسلمون.- جدة: دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.- ص ص١٠-١١.

(٢١) عبد الرحمن حميدة. أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم.- القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٤.- ص٤١.

(٢٢) كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ج١/ نقله للعربية صلاح الدين عثمان هاشم؛ وراجعه إيغور بيليف.- القاهرة: مطبعة جامعة الدول العربية، ١٩٥٧.- ص١٥٦.

(٢٣) بلوي. تاج المفرق في تحلية علماء المشرق/ تحقيق الحسن السائح.- المحمدية (المغرب): مطبعة فضالة/ د.ت.- ص٨٦.

(٢٤) كراتشكوفسكي. مرجع سابق.- ص١٥٦.

(٢٥) أحمد رمضان أحمد. مرجع سابق.- ص١١.

(٢٦) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. معجم البلدان، ج١.- بيروت: دار صادر، ١٩٨٠.- ص٤٨٦.

(٢٧) حسني محمود حسين. أدب الرحلة عند العرب.- ط٢.- بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٣.- ص ٥.

(٢٨) كراتشكوفسكي. مرجع سابق.- ص١٨.

(٢٩) صلاح الدين علي الشامي. الرحلة عين الجغرافيا البصرة.- القاهرة: دار الفكر، ١٩٩٠.- ص ١٠٩-١١٣.

(٣٠) محمد ماكّامان. الرحلات المغربية في القرنين ١٧ و ١٨.- الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٨٤.- ص١١ .

(٣١) سورة الحج.

(٣٢) محمد حسين هيكل. الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة.- القاهرة: .- ص ١٤.

(٣٣) محمد المنوني. ورقات من الحضارة المغربية في عصر بني مرين.- ط٢.- الرباط: جامعة محمد الخامس، ١٩٩٦.- ص ٢٣٠.

(٣٤) رحلة محمد بن إدريس الشافعي/ نشر محب الدين الخطيب.- القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٥٠هـ.- ص١٨.

(٣٥) كراتشكوفسكي. مرجع سابق.- ص١٣٨.

(٣٦) صلاح الدين علي الشامي. مرجع سابق.- ص ٩٢.

(٣٧) الشريف الإدريسي. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.- بيروت: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢.- ص ص١١٣-١١٤.

(٣٨) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد. كتاب الجغرافيا.- ص ٨٢-٩٠.

(٣٩) حمد الجاسر. "السفراء الأول في الإسلام".- مجلة العرب ع١١ و ١٢.

(٤٠) ابن خلكان. وفيات الأعيان: ج٣/ تحقيق إحسان عباس.- د.م: دار صادر، ١٩٧٨.- ص٣٤٦.

(٤١) صالح محمد فياض أبو دياك. "التبادل الفكري بين المغرب والأندلس وشبه الجزيرة العربية".- مجلة الدارة، س١٣، ع٢(محرم ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).- ص ص٩٨-١١٥.

(٤٢) ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي. تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار.- بيروت: دار صادر، ١٩٨٠.- ص ص١٩٥-٢٠٠.

(٤٣) ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة: ج٢/ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة.- تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٢.- ص ص٣-٥.

(٤٤) عواطف محمد يوسف نواب. مرجع سابق.- ص١١٥.

(٤٥) ابن جابر، محمد بن جابر الوادي آشي. برنامج ابن جابر الوادي آشي/ تحقيق محمد محفوظ.- ط١.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٠.- ص١٥.

(٤٦) عواطف محمد يوسف نواب. مرجع سابق.- ص٩٥.

(٤٧) عبد العزيز بن عبد الله. العلوم الكونية في المغرب.- الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٩٠ .- ص ١٦٩-١٧١.

(٤٨) الدرعي. ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي.- الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٨٩ .- ص ص١٠-١١.

(٤٩) ابن جبير. مرجع سابق.- ص٤٢، ٤٣، ٨٥، ١١٥، ١٧١، ص ص٢٤٦-٢٤٧.

(٥٠) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.- بيروت: دار بيروت، ١٩٨٥.- صفحات متفرقة.

(٥١) البلوي. مرجع سابق.- ص ص١٩-٤٣.

(٥٢) عواطف محمد يوسف نواب. مرجع سابق.- ص١١٥.

(٥٣) ابن رشيد. مرجع سابق.- ص٣٣.

(٥٤) العبدري، أبو عبد الله محمد بن العبدري الحيحي. الرحلة المغربية/ تحقيق محمد الفاسي.- الرباط: د.ن، ١٩٦٨.- ص١٧٦.

(٥٥) خالد بن عيسى البلوي. مرجع سابق.- ص٦٧.

(٥٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي. تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: ج٧/.- بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٩٧٩.- ص٣٥٣.

(٥٧) ابن مرزوق. المسند الصحيح الحسن/ تحقيق ماريه جيسوس فيغيرا .- ص٢٥٤.

(٥٨) ابن خلدون. مرجع سابق.- ص٢٦٥.

(٥٩) الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ج٣.- الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٨٥.- ص٧١٢.

(٦٠) تتمة المختصر في أخبار البشر، ج٢.- ص٣٤٨.

(٦١) الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد. مرجع سابق.- ص٧٤.

(٦٢) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ج٢.- ط٢.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦.- ص٧٤.

(٦٣) حسن الوراكلي. مرجع سابق.- ص٨.

(٦٤) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. مرجع سابق.- ص٧٤.

(٦٥) حمد الجاسر. "قطر الطائف ومؤرخوه". مجلة العرب ج٢، س٢(شعبان١٣٨٧هـ) .- ص ص٩٨-٩٩.

(٦٦) المالكي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون. نصيحة المشاور وتعزية المجاور/ عناية حسن محمد علي شكري.- المدينة المنورة: دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع، د. ت.- ص٦٧.

(٦٧) حسن الوراكلي. مرجع سابق.- ص٩.

(٦٨) المالكي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون. مرجع سابق.- ص٦٧.

(٦٩) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .- بيروت: دار الحياة، د.ت.- ص٣١١.

(٧٠) ابن جبير. مرجع سابق.- ص٦١، ٦٦، ٨٠، ٨٣، ١٧١، ٢٤٢.

(٧١) أحمد العدوي. ابن بطوطة في العالم الإسلامي.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤.- ص٢١.

(٧٢) ابن بطوطة. مرجع سابق.- ص١١٥.

(٧٣) أبو سالم العياشي. الرحلة العياشية المعروفة بماء الموائد/ وضع فهارسها محمد حجي.- ط٢.- الرباط: د.ن، ١٩٧٧.- ص٦١.

(٧٤) المقري، أحمد بن محمد. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب: الجزء الأول/ تحقيق إحسان عباس.- بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.- صفحات متفرقة.

(٧٥) عبد الهادي التازي. رحلة الرحلات: مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة/ مراجعة عباس صالح طاشكندي.- ط١.- الرياض: مؤسسة الفرقان والتراث الإسلامية، ٢٠٠٥.- ص٣٤.

(٧٦) محمد الحسني الخربوطلي. الحضارة العربية الإسلامية.- القاهر: مكتبة الخانجي، د.ت.- ص٢٢٩.

(٧٧) عبد الرحمن صالح عبد الله. تاريخ التعليم في مكة المكرمة.- ص٤١.

(٧٨) محمد الحسني. الحياة العلمية في الدولة الإسلامية.- ص ص٣٧-٣٨.

(٧٩) عبد الرحمن صالح عبد الله. مرجع سابق.- ص٤١.

(٨٠) علي حسني الخربوطلي. مرجع سابق.- ص ص٢٢٩-٢٣٠.

(٨١) ابن الأثير. مرجع سابق.- ص١٨٧.

(٨٢) ابن رشيد. مرجع سابق.- ص١٣١.

(٨٣) ابن جبير. مرجع سابق.- ص٦٨.

(٨٤) السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. طبقات الشافعية الكبرى، ج٥/ تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي.- ط١.- القاهرة: د.ن، ١٩٦٦.- ص ص ١٥٣- ١٥٨.

(٨٥) ابن رشيد. مرجع سابق.- ص١٦٩.

(٨٦) ابن جابر الوادي آشي. مرجع سابق.- ص١٦.

(٨٧) التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. مستفاد الرحلة والاغتراب/ تحقيق عبد الحفيظ منصور.- تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥.- ص٣٦٢.

(٨٨) ابن شيد. مرجع سابق.- ص٢٦٣.

(٨٩) التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. مرجع سابق.- ص٣٨٢.

(٩٠) اعتمد الباحث على:

أ- ابن جبير. مرجع سابق.- ص٨٠.

ب- التجيبي. القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. مرجع سابق.- ص٣٠٦.

جـ- ابن بطوطة. مرجع سابق.- ص١٣٨.

د- البلوي. مرجع سابق.- ص٣٠٦.

(٩١) تقي الدين الفاسي. مرجع سابق.- ص ١٠٢.

(٩٢) التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. مرجع سابق.- ص٣٨١.

(٩٣) ابن جبير. مرجع سابق.- ص٨٣.

(٩٤) عواطف محمد يوسف نواب. مرجع سابق.- ص٨٥.

(٩٥) المقري، أحمد بن محمد. مرجع سابق.- ص٥٣.

(٩٦) قطب الدين الحنفي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٠٥.

(٩٧) السمهودي. وفاء الوفا، ج٢.- ص٦٠٠.

(٩٨) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة:ج٣/ عني بنشره أسعد طرابزوني الحسيني.- ص٣١٣.

(٩٩) اعتمد الباحث على:

أ- ابن جبير. مرجع سابق.- ص٧٨.

ب- التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. مرجع سابق.- ص ص٢٩٦-٢٩٧.

جـ- البلوي. مرجع سابق.- ص٣٠٦.

(١٠٠) ابن رشيد. مرجع سابق.- ص٦٩.

(١٠١) السخاوي. مرجع سابق.- ص٢٣١.

(١٠٢) محمد المنوني. الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج٢.- ص٣٠١.

(١٠٣) ابن جابر الوادي آشي. مرجع سابق.- ص ص١٠١-١٠٢.

(١٠٤) ابن جبير. مرجع سابق.- ص٧١.

(١٠٥) ابن رشيد. مرجع سابق.- ص٥.

(١٠٦) السخاوي. مرجع سابق.- ص٦٤.

(١٠٧) ابن جبير. مرجع سابق.- ص ١٥٣.

(١٠٨) السخاوي. مرجع سابق.- ص١١٤.

(١٠٩) الفاسي. مرجع سابق.- ص٧٣.